فهذا قول بدع اذ البدعة عبارة عن احداث مقالة غير مأثورة عن السلف وعند هذا يتضح لك ان ههنا مقامين .

أحدهما مقام عوام الخلق . والحق فيه الاتباع والكف عن تغيير الظواهر رأساً والحذر عن ابداع التصريح بتأويل لم تصرح به الصحابة وحسم باب السؤال رأساً والزجر عن الخوض في الكلام والبحث واتباع ماتشابه من الكتاب والسنة كما روى عن عمر رضي الله عنه انه سأله سائل عن آيتين متعارضتين فعلاه بالدرة وكما روى عن مالك رحمه الله انه سئل عن الاستواء فقال الاستواء معلوم والايمان به واجب والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة

المقام الثاني بين النظار الذين اضطربت عقائدهم المأثورة المروية فينبغي أن يكون بحثهم بقدر الضرورة وتركهم الظاهر بضرورة البرهان القاطع ولاينبغي ان يكفر بعضهم بعضاً بأن يراه غالطاً فيما يعتقده برهاناً فان ذلك ليس أمراً هيناً سهل المدرك وليكن للبرهان بينهم قانون متفق عليه يعترف كلهم به فانهم اذا لم يتفقوا في الميزان لم يمكنهم رفع الخلاف بالوزن وقد ذكرنا الموازين الخمسة في كتاب (القسطاس المستقيم) وهي التي لايتصور الخلاف فيها بعد فهمها أصلا بل يعترف كل من فهمها بأنها مدارك اليقين قطعاً والمحصلون لهايسهل عليهم عقد الانصاف والانتصاف وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ولكن لايستحيل منهم الاختلاف أيضاً امالقصور بعضهم عن ادراك تمام شروطه واما في رجوعهم في النظر الى محض القريحة والطبع دون الوزن بالميزان كالذي يرجع بعد تمام تعلم العروض في الشعر الى الذوق لاستنقاله عرض كل شعر على العروض فلايعد أن يغلط . واما لاختلافهم في العلوم التي هي مقدمات البراهين فان من العلوم التي هي أصول البراهين تجريبية وتواترية وغيرها والناس يختلفون في التجربة والتواتر فقد يتواتر عند واحد مالايتواتر عندغيره وقد يتولى تجربةَ ما لا يتولاه غيره . واما لالتباس قضايا الوهم بقضايا العقل . واما لالتباس الكلمات المشهورة المحمودة بالضروريات والاوليات كما فصلنا ذلك في كتاب (محك النظر) . ولكن بالجملة اذا حصلوا تلك الموازين وحققوها أمكنهم الوقوف عند ترك العناد على مواقع الغلط على يسر

فصل

من الناس من يبادر الى التأويل بغلبات الظنون من غير برهان قاطع ولا ينبغي أن يبادر أيضاً الى كفره في كل مقام بل ينظر فيه فان كان تأويله في أمر لايتعلق بأصول العقائد ومهماتها فلا نكفره وذلك كقول بعض الصوفية ان المراد برؤية الخليل عليه السلام الكوكب والقمر والشمس وقوله هذا ربي غير ظاهرها بل هي جواهر نورانية ملكية ونورانيتها عقلية لا حسية ولها درجات في الكمال ونسبة ما بينها في التفاوت كنسبة الكوكب والقمر والشمس ويستدل عليه بان الخليل عليه السلام اجل من ان يعتقد في جسم انه اله حتى يحتاج الى ان يشاهد أفوله أفترى انه لو لم يأفل أكان يتخذه الهاً ولو لم يعرف استحالة الالهية من حيث كونه جسما مقدرا . واستدل بانه كيف يمكن ان يكون أول مارآه الكوكب والشمس هي الاظهر وهي أول مايري . واستدل بان الله تعالى قال أولا (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض) ثم حكي هذا القول فكيف يمكن ان يتوهم ذلك بعد كشف الملكوت له وهذه دلالات ظنية وليست براهين

اما قوله هو أجل من ذلك فقد قيل انه كان صبياً لما جرى له ذلك ولا يبعد ان يخطر لمن سيكون نبياً في صباه مثل هذا الخاطر ثم يتجاوزه علي قرب ولا يبعد أن تكون دلالة الافول على الحدوث عنده أظهر من دلالة التقدير والجسمية

وأما رؤية الكوكب أولا فقد روي انه كان محبوساً في صباه في غار وانما خرج بالليل

وأما قوله تعالى أولا (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) فيجوز ان يكون الله تعالى قد ذكر حال نهايته ثم رجع الى ذكر بدايته فهذه وامثالها ظنون يظنها براهين من لايعرف حقيقة البرهان وشرطه فهذا جنس تأويلهم وقد تأولوا العصا والنعلين في قوله تعالى (اخلع نعليك) وقوله (وألق مافي يمينك) ولعل الظن في مثل هذه الامور التي لاتتعلق باصول الاعتقاد يجري مجرى البرهان في أصول الاعتقاد فلا يكفر فيه ولا يبدع نعم ان كان فتح هذا الباب يؤدي الى تشويش قلوب العوام فيبدع به خاصة صاحبه في كل مالم يؤثر عن السلف ذكره ويقرب منه قول بعض الباطنية ان عجل

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)